

ذكر بعض الحكم من تشريع بعض المناسك

لما بات بذي الحليفة وأصبح وقد لبس إحرامه، وكان قد تطيب قبل أن يحرم. طيب شعره، وطيب لحيته، وطيب يديه، ولم يطيب لباسه؛ لم يطيب ثيابه، فلما صلى الصبح أهل وهو في مكانه، بقوله: لبيك حجًا. أو لبيك عمرة وحجًا، وقال: لبيك اللهم لبيك. سمعه بعض الصحابة، فقالوا: إنه أحرم وهو في مصلاه، ثم جاء إلى ناقته التي حج عليها، وتسمى القصواء، فلما استوى على راحته لبي مرة ثانية، فسمعه آخرون فقالوا: إنه لبي وهو على راحته، ووطنوا أنه لم يلب قبل ذلك، ثم إنه سار قليلا إلى أن استوت به ناقته على البيداء ذلك المكان الواسع- وإذا الناس كلهم قد ركبوا رواحلهم، وإذا هم عن يمينه مَدَّ البصر، وعن يساره كذلك، وأمامه وخلفه، وكلهم جاءوا ليقفوا به. فلما استوت به على البيداء لبي، ولما لبي سمعه الذين حوله، فلبوا، وسمعهم الذين وراءهم فلبوا، وسمعهم الآخرون إلى أن صجَّ الحجاج كلهم بهذه التلبية، وسمعت أصواتهم من بعيد، وكان قد أخبر بأن ربته أمره برفع الصوت، وقال: { إن جبريل أتاني وقال: إن الله يأمرك أن تأمر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالإلهال } يعني بالتلبية. واستمروا على هذه التلبية التي كان يُكثِّرها، وكان يلزم تلبيته، فيقول: { لبيك اللهم لبيك! لبيك لا شريك لك لبيك! إن الحمد والنعمة لك والملك لك! لا شريك لك! } هذه كانت تلبيته -صلى الله عليه وسلم- ولكن يسمع أصحابه أيضا يلبون، ويُقرُّهم على تلبيتهم، فمنهم من يقول: لبيك حقا حقا.. تعبداً ورفقا.. ومنهم من يقول: لبيك لا شريك لك.. لبيك اللهم لبيك.. لبيك وسعديك.. والخير كله بيدك، والشئ ليس إليك، نحن عبادك الوافدون إليك، الراغبون فيما لديك. يلبون بهذه التلبية، فكان ذلك مما يدل على جوازها، وبعضهم يقول: لبيك والرغباء إليك والعمل، أو يقول: نحن عبادك الوافدون إليك، الراغبون فيما لديك، أو يقول: لبيك إن العيش عيش الآخرة ونحو ذلك، ولا يُكثِّر ذلك عليهم. فنقول: عليك ما دمت مُحْرماً أن تُكثِّر التلبية، فقلبي إذا سمعت أحدا يلبني، وقلبي في الطريق إذا ارتفعت على مكان رفيع، وقلبي إذا انحصت بك راحلتك، أو هبطت في وادي، وكذلك التلبية إذا ركب، أو إذا نزل، أو إذا أقبل الليل، أو أقبل النهار، أو صلى مكتوبة، أو سمع مُلَبِّياً، أو تلاقى الرفاق، أو فعل محظوراً. أي كلما تجددت به حالة فإنه يلبني أبة تلبية يحفظها، أو تتيسر له. ثم نعرف أن هذه التلبية من الأذكار المهمة حتى أن بعض العلماء ذهب إلى...